

الفصل الثالث

آلية عمل المثلث

المجتمع الغربي قائم على فكرة المثلث:

إن مجتمعنا مبني على نظرية هذا المثلث، وكثيرون هم الذين يعتقدون بحزم في حقيقة وجود الأدوار، ويقومون بتوزيعها على الناس دون تردد أو حتى تفكير. فالمرضة ورجل الإطفاء هما رمزان عالميان لإنقاذ الآخرين وإيثارهم، إضافة إلى الشجاعة، وتفانيهما مهما كان مُشرفاً يعد عادة أمراً طبيعياً تماماً، ونصاب بالصدمة إذا أبدوا أي شروط محددة لمساعدتهم التي يقدمونها، أو عندما يتخلون عنها؛ لأن هذا هو قدرهم في المقابل ومع أنهم يعملون عملياً لخير المجتمع، فإن الشرطة والعدالة ومصلحة الضرائب، يُنظر إليهم ظلماً على أنهم أفظاظ ومُضطهدون.

ولذلك، فإن المواطن دافع الضرائب يشعر بنفسه ضحية طيبة وبريئة، بلا حول ولا قوة، أمام المنغصات الإدارية، ويسمح لنفسه غالباً بالتصرف بسذاجة ولا مبالاة وأحياناً بقلّة أمانة: («لم أكن أعرف، لم أفهم، لم يقل لي أحد») وبالطريقة نفسها نادرة هي الشركات التي تعد مُحسنة عندما تزود المجتمع بفرص العمل، حتى عندما تكون مسؤولة عن إحياء منطقة كاملة. ولكنها إذا سرّحت من العمل بعض العاملين، فإنه ينظر إليها على أنها ظالمة. الموظف المسكين (الضحية) الذي

سرّحته الشركة الخبيثة (الجزار) التي تحقق الأرباح على حسابه، سيذهب بحثاً عن المساعدة في مكتب التوظيف (المنقذ).

على الرغم من أن الجميع يعترف بأن هناك خروفاً للقانون، وغشاً في تلقي المساعدات الاجتماعية من قبل بعض الذين يحتاجون المساعدة، ولكن ما إن نقترح تشديد الحصول على هذه المساعدات، أو أن تمارس حقها في الرقابة، حتى تجد في طريقها منقذين يرفعون أصواتهم منددين بالجور على المحرومين. ومثال أخير دولي هذه المرة: في أثناء الحرب في يوغسلافية السابقة تدخلت الأمم المتحدة لحماية الكروات ضحية «الجلادين» الصرب. وهكذا فالمجتمع يوزع الأدوار في البداية، ولكن لا أحد يبقى في الوضع الذي أعطي له بداية، وتتغير الوضعيات بسرعة كبيرة نادراً ما تكون في اتجاه إيجابي.

لعبة الكراسي والموسيقا:

لا بد أن يغير الأشخاص أدوارهم في مرحلة زمنية ما من سلوك إنسان (جلاد) إلى إنسان آخر (منقذ). فإذا أحب منقذك أن يؤدي دور «المحامي»، وبدلاً من أن يرثي لحالك دافع عن جزارك، وجعلك تؤدي دور الجزار. «أتدري، إنه ليس بالقليل ما يعيشه الآن من صعوبات. أنت قاسٍ جداً عليه! بإمكانك أن تكون أكثر تسامحاً! توقف!» ها أنت تعاني ظلم المنقذ، ولأن دور الضحية استولى عليه الجزار الذي أردت أن تشتكي منه، فما عليك إلا أن تجترّ حرمانك.

عدم النضج:

لماذا تتنظم الألعاب حصرياً حول هذه الأدوار الثلاثة؟ لأن هذه الأدوار هي نتيجة مباشرة لحياتنا في أثناء الطفولة. فدور الضحية هو بالأصل دور الطفل. إنهم الأطفال الذين يتصفون بالصفاء والبراءة وقلة الحيلة؛ بسبب اعتمادهم على الآخرين. فليس لهم خيار آخر سوى الخضوع لسلطة الأبوين، وأن يتلقوا منهما الحنان أو الصد. ومن الطبيعي أن يكونوا خطائين وغير ناضجين؛ لأنهم في طور التعلم، ومرتبطون زمنياً طويلاً بحركية التجربة والخطأ. وفي أثناء تطورهم يصبح الأطفال فاعلين أكثر فأكثر، ومستقلين ومسؤولين عن أعمالهم. فعليهم أن يتحملوا تبعات علاماتهم السيئة في المدرسة، إضافة لالتزامهم بالنظام... إلخ؛ فعدم نضجهم لا يُحتمل إلا إذا كان متناسباً مع عمرهم من حيث المبدأ على الأقل. وفي سن الثامنة عشرة يصبحون مسؤولين عن تصرفاتهم قانونياً وعن مستقبلهم. والأشخاص الذين يضعون أنفسهم في موقع الضحية يحاولون أن يعودوا (أو يحتفظوا) إلى حالة الطفولة بتخليهم عن تحمل المسؤولية وقبول رعاية الآخرين لهم.

الجلاد والمنقذون يمارسون ويتشاركون في المظهرين المتكاملين للوظيفة الأبوية: جانب الأب/ الأم الذي يُوَطر ويصحح ويقوم ويؤنب ويعاقب، والجانب بابا/ ماما المتعلق بالتربية والشعور بالأمان والحماية.

هذه الأدوار التي نُؤديها في لعبة المثلث كانت سابقاً ردة فعل مناسبة لوضع حقيقي. وهكذا، فالجد كان مقهوراً فعلاً من قبل أقاربه،

وربما تراكم من الحقد عطش للانتقام، وحاجة لإذاعة الآخرين الحرمان الذي عاناه.

المنقذ ربما كان مجبراً على القيام بالكثير؛ للحصول على بعض مؤشرات العرفان الضعيفة، والضحية عاش دون شك أحداثاً درامية مازال يحمل آثارها من حياته السابقة. هذه التصرفات مثل ضحية أو جزار أو منقذ يمكن لها أن تبقى مفيدة أحياناً، بحسب الظروف. ولكن الشخص الذي ينخرط في لعبة المثلث يستخدمها زيادة عن المعقول ودون روية. إن اختيار الدور، مع أنه عفوي ولا شعوري يمكننا عده مقبولاً في 10% من الحالات، ولكنه في 90% من الحالات يخدم التلاعب بالآخرين بوصفهم وسيلة.

دور التربية:

للتربية قطعاً تأثير جوهري على نضج أو عدم نضج الأطفال مستقبلاً عندما يصبحون بالغين. فعندما لا يؤدي الوالدان وظيفتهما الأبوية (والدان ضحية) أو يتعديان دورهما (والدان منقذان أو جلادان)، فإن أولادهما لا ينعمون بالوضع الصحي الطبيعي لطفل خالي البال في أثناء النمو.

○ الوالد الجلاذ:

الوالد الجلاذ يطلب الكثير من أولاده. هو ذاته قد حُرِم من طفولته، وبذلك فقد كان عليه أن يُطور قدرة خارقة للسيطرة على النفس، وتحمل

مسؤوليات تجاوزت استطاعته. مثلاً، كان عليه أن يقوم بحضانة إخوته وأخواته الأصغر سنّاً، أو أن يكون القدوة لهم عبر سلوك لا يمكن انتقاده. وهذا ما سيطلبه من ابنه بدوره. فالأب الجد، بكونه مُحباً للإلتقان وقلقاً لا يعترف للأولاد بحقهم في الخطأ وإساءة التصرف، ويعاقب بشدة كل ابتعاد عما يعده مطلوباً بشكل طبيعي، وهذه المتطلبات هي ذاتها غير منطقيّة. وسلوكه الرادع هدف هو إيقاف كل مرح ولا مبالاة في حياة أطفاله؛ لأنه لا يتحمل المظاهر الناتجة عن هذه المشاعر.

○ الوالد المنقذ:

الوالد المنقذ لا يطلب إلا المزيد من طلبات ولده. وليشبع حاجته بأن يكون مفيداً، فإنه يمارس مع ابنه إغراءً بشعاً، ويتصرف تصرفاً عبدٍ خادم لابنه «الطفل الملك»، ويشجعه على أن يصبح خاملاً متلاعباً وصاحب نزوة. إن ربط أنشودة الحذاء لطفل يعرف أن يقوم بذلك هو دعوة له إلى الكسل، وهذا ليس بحال من الأحوال تعبيراً عن الحب، ولكنه عكس ذلك، والوالد المنقذ لا يبالي هذا.

إنه جُلّ همه هو الحفاظ على صورة الأب الجيد التي تعكس إنقاذه غير الملائم أكثر من العواقب بعيدة المدى لتصرفاته. إنه من الضروري جداً ألا يخلط الآباء بين الحب والحضانة. ففي موضوع التربية، إذا كانت الحضانة ضرورية ومفيدة في السنوات الأولى من الحياة، فإنها تصبح سُمّاً زعافاً ابتداءً من سن السابعة؛ لأنها تتركس الطفولة بدلاً من أن تدفع لتطوير الاستقلالية.

إذا كان عمر سبع السنوات يعد «سن النضج»، فإنه بإمكاننا أن نتوقع ابتداءً من هذه السن أن يشجّع الموقف الأبوي الأطفال على أن يصبحوا ضحايا صغيرة متدمرة وبحاجة للمساعدة، أو على العكس أن يدفعهم للأمام، ويسمح له بالنضج.

○ الوالد الضحية:

إن الوالد الطفولي الذي يتصرف بشكل ضحية غير قادرة على إدارة حياتها يجعل من أبنائه آباءً له بلا حرج. وعندما يستشيرني أناس لهم آباء من هذا النوع، فأنا أقترح عليهم أن يتصوروا هذا الأب الكبير مضغوطاً بشكل كروي ليصغر حجمه، وهو يمص إبهامه في سريره الصغير ذي الحواجز، أو على شكل طفل صغير عمره عامان مع حفاظة النظافة، ويحمل بيديه الصغيرتين هذا الأب الكبير نفسه. فهذا بالضبط ما يحدث بالتفصيل في الحياة، وهو محطم للبنية العقلية للطفل بالقدر نفسه الذي يسببه من الضرر لهيكله العظمي. وتصدمني مشاهدة المزيد من المشاهد التي يوبخ فيها الأطفال آباءهم بلهجة أبوية، ومشاهدة ردة فعل الأبوين اللذين يأخذان وضعية الطفل المذنب. كم هو مخيف ومُشين هذا الانعكاس في الأدوار! الأشخاص الذين مارسوا دور الآباء في طفولتهم يصبحون منقذين كباراً؛ لقناعتهم بأنهم لن يكونوا محبوبين إلا إذا ضحوا من أجل الآخرين.

أخيراً نلاحظ في بعض العائلات أن كل البالغين لاعبون متحمسون، ويُتحمون الأطفال في هذا المثث المنحرف. وهكذا، فالأطفال يتعلمون

التواصل بهذه الطريقة عبر التريبة والقذوة العملية، ضحايا أو جزارين أو منقذين، هذه الانحرافات السلوكية الأبوية الثلاثة تشترك في كونها تصرفات غير ناضجة وملتوية، ولا تحترم حق الأطفال بالتمتع بطفولتهم.

بالتأكيد إن اللاعبين اضطروا في مرحلة معينة من حياتهم حقيقة لتبني هذه التصرفات، وذلك في علاقاتهم مع أمثالهم بوصفهم بالغين، وإن مواقفهم هذه كانت على أنهم أطفال متدمرون. والحضانة الطفولية، إضافة إلى إعطاء الدروس التربوية هي عبارة عن تصرفات غير لائقة، ولا تجوز، فلا بد من النصح، وإن القوة التي يتشبث بها بعض اللاعبين بأدوارهم، وتكرار اللعبة وشدتها ذات علاقة مباشرة بدرجة عدم النصح واحترام النفس. فكلما كان الناس متصابين وقليلي الثقة بأنفسهم تمسكوا بلعبة المثلث بعناد.

السلوك المسرحي:

إن واحداً من مظاهر الألعاب النفسية الأكثر وضوحاً هو «المبالغة». وهذا يعني تمثيلاً مسرحياً مبالغاً فيه للمواقف والأوضاع، يصلح للمسرحيات (المأساوية) اليونانية الكبيرة، فلغة التعابير والحركات لا تقل تعبيراً عن المشاهد أيام السينما غير الناطقة. إن هُواة لعبة المثلث يقومون بحركات كبيرة بأيديهم، ويديرون أعينهم بكثرة، ويتدثرون بكرامتهم، وينهارون بكاء أجش، كمثلين سيئين يبالبون في تمثيل أدوارهم. المبالغة الشديدة في ردود الفعل: «سوف تحطم عائلة

متماسكة»، «سوف تُميتنا من الحزن!»، والتعبير الزائد على الحد: «أبدأ، دائماً، خارق للعادة، هائل، متوحش.....». كل شيء مُكبر ومشوه ومبالغ فيه. والغريب أنه في أثناء تقدم اللعبة نحن نعرف هذا ونشعر به، ولكننا نبدو وكأننا لم نشعر به.

إن لغة التعبير للاعبين الجيدين مبالغ فيها، لدرجة أننا نتمتع بكشفهم ضمن حشد من الناس، والوضيعات والتصرفات وتعايير الوجه والإيماءات وحدها تخبر قصة كاملة. وإليك بعض الأمثلة...

الضحايا: يتحركون بصعوبة، وهم يعرجون ويعبسون من الألم، وغالباً في اتجاه معاكس لحركة جمهرة الناس، وهم يتصيدون نظرات الشفقة. إنهم يسألونك عن طريقهم، وعليهم سحنة الطفل الضائع. إنهم يتهاوون تحت ثقل صناديق ثقيلة يحملونها بسذاجة مؤثرة...

منذ مدة قصيرة كانت مقابلي في الترام سيدة مشيت كل المسافة بيننا مغلقة العينين واضعة يدها على فمها وكأنها توشك أن تتقيأ. ولحسن الحظ فإن سحنتها الوردية ونضرة وجهها كانت تكذب ما حاولت أن تبديه على أنه وعكة، ومع ذلك فقد بقيت متأهبة؛ خوفاً من أن تتقيأ على حدائي. ولذلك قلت لكم سابقاً: إن الألعاب هي وسائل ممتازة للفت نظر الآخرين وجذب انتباههم!

الجزارون: يعيقون ممرات السوق التجارية بعرباتهم عن طريق الرجوع المطول إلى قائمة التسوق. وعندما يقودون سياراتهم فإنهم يستخدمون آلة التنبيه بعنف؛ لإزعاج السائقين الآخرين. إنهم يسمحون

لأنفسهم بأن يوبخوا أبناء الآخرين، وأن يعطوا دروساً في التربية للأباء الآخرين. يُجِيلون نظراتهم المُستاءة حولهم، ويزفرون ما في صدورهم من هم متضايقين، ومحاولين أن يشركوك في سخطهم.

المنقذون: إنهم يفسحون لك الطريق علانية وبطريقة احتفالية، ويتخلون عن مقعدهم في وسائل النقل العامة لك، وينقلون لك عفويًا معلومات قد تكون مفيدة، ويحاولون أن يساعدوك دون أن تطلب منهم شيئاً. وعندهم موهبة التدخل في الخلافات، والوقوف في صف الذين يعتقدون أنهم مظلومون.

لا شك في أن لديك الكثير من الأمثلة الأخرى لهذه المواقف المُرحبة. كل هذه التصرفات تريد أن تقول: «هل تريد أن تلعب معي؟»، ونحن نجيب عنها عندما نرغب في ذلك عبر لعبة المثلث.

«وماذا إذن، هل يجب الامتناع عن التعاون مع الناس؟» هذا قد يدعوني لأن أقدر كثيراً الناس الذين يشيرون إلي بأنهم ذاهبون، عندما أبحث عن مكان لإيقاف سيارتي. وأحب كثيراً الناس الذين يخبرونني بأنني نسيت أن أشعل أو أطفئ أضواء سيارتي، أو الذين يندهونني لأنني أسقطت شيئاً على الأرض. وفي المقابل فأنا أفعل الشيء نفسه.

توماس غوردون مؤسس طريقة «رابح- رابح» يدعو هذه المبادلات «ألعاباً على مبالغ ليست مهمة». فكلنا رابح، ولا تكلف هذه العملية سوى ابتسامة تلو الشفاه. وسأعود للتكلم على شروط التعاون الصحي البنّاء.

ولكن دعوني أخبركم بهذه الحادثة المزعجة الصغيرة؛ لأسمح لكم بالتفريق بين عناصر لعبة المثث: ذات صباح عندما كنت ذاهبة لعملي كانت السماء تمطر بغزارة شديدة. كنت وحيدة محتمية بمظلة في انتظار الحافلة. توقفت سيارة أمامي، وقالت لي المرأة اللطيفة التي تقودها: «إني متجهة إلى مركز المدينة، وبإمكاني اصطحابك إلى هناك إذا أردت، وعلى الرغم من هطول المطر الغزير، فإنك لن تبتلي. لا تشعري بالحر والاصعدي!» لا بد أنني كنت غير مستيقظة تماماً؛ لأنني قبلت العرض. فقد تبين أنها لم تكن متجهة إلى «مركز المدينة» نفسه الذي أردت التوجه إليه، وأنها رفضت أن تغير اتجاهها لتوصلني إلى وجهتي. وقد أنزلتني في منطقة اضطررت معها إلى المشي طويلاً تحت المطر، والوصول متأخرة. فهل بإمكانكم الآن رؤية الفرق بين التعاون والإنقاذ؟

الفوائد الثانوية

إننا نمارس ألعاب المثث؛ لأنها تعيدنا إلى المخططات التي تعودنا عليها في الطفولة، ولأننا بحاجة لاهتمام الآخرين؛ حتى نحس بوجودنا، ولأن هذا يملأ فراغ أيامنا، ولأن نهايات الألعاب تؤكد مواقف الحياة لكل منا. إنها فوائد رئيسة لها علاقة بوجودنا، وتوجد فوائد أخرى ثانوية بالتأكيد، ولا يمكن إهمالها عبر أدائنا أحد الأدوار الثلاثة.

○ فوائد أن تكون ضحية:

إن دور الضحية يجذب التعاطف ومن ثم الشفقة، ويسمح باستقطاب

الكثير من الاهتمام. وهو يضمن الإغفاء التام من المسؤولية، ويمنح الفرصة للمتلمص من تبعة الأعمال التي تقوم بها، وذلك لأن الغرض الأولي هو أن الضحية لا بد أن تكون بريئة ونقية. إن غالب معاملات الضحية تقوم على تحميل الآخرين المسؤولية. «الذنب هو ذنب هذا الجزار الشرس (أو ذنب هذا المنقذ السيئ) الذي أوصلني إلى ما أنا عليه اليوم. فأنا لا ذنب لي فيما حدث». وإذا لم يكن هناك جزار يمكن اتهامه، فإن الضحية تؤدي دور الغباء؛ لتتجو من الورطة: «لم أفعل ذلك عمداً. أنا لا أعرف. لم أفهم المقصود». وبرفضه تحمل مسؤولية وتبعات تصرفاته، يبحث الشخص الذي جعل من نفسه ضحية عن الهروب من العار؛ لأننا عندما نفقد القدرة على تقويم الذات بموضوعية، ويكون احترامنا لأنفسنا قليلاً، فإن إدراكنا لنقائصنا وأخطائنا يكون مؤلماً جداً. ولحسن الحظ، فلا حاجة لنا في خانة الضحية أن نمارس النقد الذاتي!

من بين الفوائد الثانوية لدور الضحية يجب أن نأخذ في الحسبان «المازوخية» التي يعدها إيريك بيرن «الخيار الأقل سوءاً»، أما جاك سالوميه فيذهب إلى أبعد من ذلك، ويدعونا للاعتراف بأمانة بالوجه الممتع لوضعية الضحية. «فهو يقول: إن هناك متعة كبيرة في النحيب والتذمر والشعور بالعجز». عندما سمعته يقول هذا شعرت مباشرة غريزياً بأننا عندما نقبل الاستماع ونوافق على تباكي الأشخاص الذين نعرف كذبهم، فإننا بذلك نأمل أن آخرين يقومون بالشيء نفسه معنا، ويمنحوننا فسحة التمتع بالتذمر هذه نفسها بالمقابل في مناسبات أخرى. ويلخص جاك سالوميه كلامه بأن يعرض علينا هذه الطريقة

في التفكير: «السعادة هي ربما التخلي عن التمتع بالشقاء...»، وأنا أكمل هذا القول بالآتي: «... والعودة لأن تكون قبطان حياتك بدلاً من أن تكون مسافراً فيها».

○ فوائد أن تكون جلاداً:

في خانة الج د، إن الفائدة الثانوية الرئيسة هي إمكانية إفراغ الشعور بالحرمان على ضحية بطبيعة الحال. فإذا كان يومي شاقاً ومليئاً بالمتاعب، ولم أتمكن من أن أمنح نفسي شيئاً من العناية، أو أن أرتاح، أو أن أتناول بعض السوائل بكل بساطة، فإنني سأعود للمنزل مُثاراً، وأشعر بالرغبة لتفريغ كل السلبية التي أحملها على إنسان ما. وأقل المسوغات يكون كافياً: أحذية مرمية في مدخل المنزل، وضوء مضاء في غرفة لا يوجد فيها أحد، أو رؤية طفل يشاهد التلفاز بدلاً من أداء واجباته المدرسية...

أو مرآبي المشهور في حالة فوضى! إنها القصة التقليدية للموظف المنهك من رئيسه في العمل، الذي يصرخ على زوجته عندما يعود إلى البيت. فتقوم الزوجة بلطم ابنتها الذي يرفض الكلب بقدمه. وهكذا فكل واحد يصب شعوره بالحرمان على من هو أضعف منه. توجد طرق بسيطة؛ حتى لا يشعر الإنسان بأنه مُفرق في الحرمان: أن يتعلم ثانية أن يستجيب لرغباته، وأن يمتع نفسه، وأن يرخي العنان لها...

وتوجد كذلك فائدة أخرى يجب أن نتعلم أن نتخلي عنها؛ حتى لا نصبح جلادين بعد الآن: وهي الشعور بالقوة الذي يعطيه التسلط على من هم أضعف منا.

كان ابن إحدى صديقاتي يتمتع يوماً بإغاظة ابني الأصغر منه سناً. وبسبب انزعاجي من سماع الصغير يبكي باستمرار (ودون شك بوصفي منقذة لصغيري الضحية) قلت لهذا الجلاد الصغير: «قُل لي يان، إنه من السهل أن تتناول على من هو أصغر منك! فهذا يعطيك الانطباع بأنك الأقوى والأكثر مكرراً، أليس كذلك؟» وعندها أجابني الطفل بابتسامة جميلة، وقد سره أن نواياه فُهمت تماماً: «تماماً وماذا عندك!» وهكذا كنت عديمة الحيلة... عندما نصبح بالغين لا نبقى بالصدق نفسه، وتبقى الآلية النفسية نفسها، ولكنني أدعو الجلادين لأن يظلموا واعين: إن القدرة على الظلم ليست سوى قوة وهمية. فإليكم ما أخبرني به واحد من الشباب الذين يراجعونني: مُجرباً نفسه في دور «جزار للقلوب» مع صديقه الجديدة، قام بالدور التقليدي الآتي: «لا تتعلقي بي أيتها اللعبة، فإنك سوف تعانين!» ولكنها أجابت وهي تتفجر ضاحكة: «كم أنت مغرور لتعتقد أن بإمكانك أن تجعلني أعاني!» أجل، فدون ضحية مستسلمة لا يوجد ظلم ممكن!

○ أما المنقذ:

فإنه سيجد في ألعاب المثلث من المنافع الثانوية ما يعادل منافع شركاء اللعب الآخرين. فإضافة إلى إرضاء حاجته الحيوية لتلقي علامات التعرف إلى النفس، فإنه سيستطيع تغذية حبه للذات عبر سخائه. فدور المحسن يعطي شعوراً بالرضى عن الذات. فنحن جميعاً نحب أن نعتقد أننا طيبون ومحسنون ومؤثرون. ولا تهتم نتائج

تصرفاتنا على المدى البعيد شرط أن تعكس لنا صورة مُشرقة عن أنفسنا على المدى القصير . وهكذا نكتشف يوماً أن المنتجات التي جمعت في البلدان المتطورة، وأرسلت إلى دول العامل الثالث دمرت الأنظمة الاقتصادية المحلية.

في هذه العقلية الإنقاذية، حيث يكون الرهان الرئيس هو صورة السخاء الذاتي، يصبح الدواء أسوأ من المرض. وبعكس الجلاذ يحتفظ المنتقد بوهم القدرة؛ لأنه يعتقد أنه يملك الحلول لمشكلات الآخرين. وإنقاذه للآخرين يسمح له بالشعور براحة الضمير، وبالإحساس بأنه أقوى وأذكى من هذه الضحايا المسكينة: «لست أنا بالذي يمكن أن تحصل معه مثل هذه المصائب» هذا ما يحدث به نفسه غالباً. وأخيراً، فإن إنقاذه للناس هو طريقة ممتازة للهروب من مشكلاته الخاصة عبر الاهتمام بمشكلات الآخرين.

وعلى الرغم من السلبية والشعور بالحرمان والتعاسة التي تولدها ألعاب المثلث، فإن هذه الفوائد الثانوية المتعددة سوف تضاف إلى المكاسب الحيوية للأدوار، وهي أسباب كثيرة للتمسك بهذا النظام في العلاقات المتبادلة، وخاصة أن دورة صغيرة حول رؤوس المثلث لا تؤدي بالضرورة إلى مشاعر سلبية، فتوجد حالات حيث يحصل كل لاعب على ما يريد، ويخرج من العلاقة التبادلية راضياً، ولكن هذه حالات فردية غالباً. وعند تكررها تصبح بسرعة مثيرة للحقن. وإليك مثالاً على هذا: ذات صباح وجدت أرصفة الحي الذي أسكن فيه متجلدة

تماماً، ولذلك فكنت أسير بحذر شديد على الأرض الزلقة. وعلى بعد بضعة أمتار من موقف الحافلة مررت بثلاثة أشخاص متوقفين: رجلان يدعمان امرأة عجوزاً، كانت تمسك بمرفقها والألم يعتصرها.

قالت لي: «انتبهي، فالأرض زلقة! وقد وقعت أرضاً!» على الرغم من أن مشيتي الحذرة تدل على أنني لاحظت حالة الأرض. ولكوني معتادة على قراءة اللغة غير المفضولة للناس، فقد أحسست بالفريضة بأن هذه السيدة كانت تشعر بشيء من البهجة بسبب هذا الحادث المزعج. ومع أنها كانت في موقف الضحية المجروحة، ولكنها بقيت مؤثرة للآخرين على نفسها بشجاعة، ووجدت في نفسها القوة لتؤدي دور المنقذ معي. وأرادت بهذا كذلك أن تلفت انتباهي.

سألتها بأدب: «هل أصابك أذى؟»

- أجابتي بفخر: نعم.

- هل أستطيع أن أقدم إليك أي مساعدة؟

- أجابني الرجلان اللذان يمسكان بها: لا؛ لقد طلبنا النجدة، ولن يتأخر المسعفون في الوصول. كانا يبدوان بهيئة تحمل الشهامة والرجولة، أما السيدة العجوز فكانت ترمقهما بنظرة مليئة بالرضى والامتنان.

- قلت لها: «أتمنى لك شفاء سريعاً، وأنا أسلك طريقي حذرة من جديد.»

منذ أن مررت بموقف الحافلة استطعت أن أتخيل تماماً ماذا سيحصل بعدها. فبعد قليل وصلت سيارة الإسعاف، وتوقفت قرب الرصيف. كانت السيدة المُسنة مصابة فقط بجرح في المرفق، ولم يكن هناك خطر على حياتها. فقد قوم المسعفون الوضع بسرعة، وتنفسوا الصعداء، فقد كانت الحالة غير خطيرة! ولكونهم مهنيين بتميز فقد تابعوا اللعبة حتى نهايتها. فقد شكروا السيدين اللذين ارتسمت على وجهيهما ملامح تواضع الرجل الذي لم يقم إلا بواجبه، وأعادوا السيدة التي تألقت فخراً متخذين ألف احتياط لا داعي له إلى بيتها.

لقد اعتقدت أن اليوم بدأ جيداً لكل منهم: فالرجلان اللذان رفعوا السيدة العجوز، وطلبا مساعدة المسعفين، بوسعهما أن يلتحقا بعملهما، وهما يشعران بالرجولة وينفعهما للمجتمع. أما رجال النجدة فكان عملهم هذه المرة مريحاً وغير مجهد، مقارنة بمدخلاتهم الأخرى في حالات مأساوية حقاً، تعد مصدراً للتوتر النفسي. وتلقوا العرفان العظيم هدية من الضحية.

أما السيدة فإن تهورها الذي دفعها للخروج باكراً في مثل هذا الطقس قد عوض أحسن تعويض. فهي كانت توشك أن تقضي الصباح في المستشفى، حيث يُعتنى بها وتتلقى العلاج. وربما تتعرض لتوبيخ مُحبب من الطبيب لتعريض نفسها للخطر. أما موقفها الهادئ والمستسلم على أنها ضحية تتحلى بالشجاعة والعرفان بالجميل فسوف يوفر لها مديح الفريق الطبي. وعندما تغادر المستشفى بضماد أو جبس، فإنها ستمتلك

موضوعاً يستحق زيادة الاهتمام من ذويها، ويمكن له أن يجعل منها
نجمة المحادثات عدة أسابيع. في هذه اللعبة، أدى الجليد دور الجلاذ،
ولذلك كان من الممتع والمفيد أن يشارك جميع اللاعبين في اللعبة.

